

التعريف في الصناعة المعجمية عند العرب مفهومه وآلياته (معجم الغني الزاهر^١ نموذجاً)

اعداد الباحث: يوسف أمرير

طالب باحث بسلك الدكتوراه، مختبر الكتابات الأدبية واللسانية، المدرسة العليا للأساتذة - جامعة محمد الخامس - المغرب

Email: amarir49@gmail.com

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى التطرق لقضية التعريف في الصناعة المعجمية العربية والتنبيه على أهمية الاعتناء بها أثناء إنجاز المعاجم، ومرد هذه الأهمية في نظرنا- إلى جانبين: أولهما، كون المعاجم أدوات لا غنى عنها في أي ثقافة إنسانية؛ فهي التي تختص بحفظ لغات الشعوب وتسجيل مختلف ألفاظها ومعانيها وأساليبها وفنونها وكذا ثقافة مستعمليها، ومن هنا الحاجة الدائمة إلى الاهتمام بها وتجديدها باستمرار. وثاني هذه الجوانب -وهو تابع للأول- كون التعريف أحد أهم أركان الصناعة المعجمية؛ إذ هو الذي يساعد مستعمل المعجم على رفع الالتباس عما يصادفه من ألفاظ ومصطلحات لا علم له بها، ومن ثم فهو عنصر جوهري يؤثر بشكل مباشر في جودة المعجم من عدمها. وتبعاً لما سبق، قسمنا هذا المقال إلى ثلاثة مستويات: الأول، حاولنا فيه تحديد مفهوم التعريف المعجمي. والثاني، سعينا فيه إلى بيان طرائق التعريف المختلفة التي اعتمدها المعاجم العربية قديمها وحديثها، مع تحديد إيجابيات وسلبيات كل نوع عبر تحليل مجموعة من المداخل المعجمية لمعجم "الغني الزاهر" للدكتور عبد الغني أبو العزم الذي نفترض أنه من بين أحدث المعاجم العربية شكلاً ومضموناً. والثالث، رصدنا فيه -قدر الإمكان- أهمية الوسم ودوره في تنظيم محتويات المعجم بصفة عامة وبنية التعريف المعجمي بصفة خاصة.

الكلمات المفتاحية: المعجم ، التعريف ، طرائق التعريف ، الصناعة المعجمية ، الوسم.

١- "الغني الزاهر" معجم لغوي حديث للباحث المغربي عبد الغني أبو العزم، صدرت طبعته الأولى سنة ٢٠١٣ عن دار الغني للنشر ويقع في أربعة مجلدات من القطع المتوسط، يصل عدد صفحاته إلى أزيد من ٣٦٠٠ صفحة، يضم بين دفتيه مفردات اللغة العربية القديمة والمعاصرة ولغة الأدب والصحافة في سياق دلالتها ومضامينها الحقيقية والحجازية، وفي ضوء صيغها وتراكيبها، وهو معجم يعتمد على الترتيب الألفبائي النطقي.

Abstract

This article aims to address the issue of definition in the Arabic lexicography and alert the importance of taking care of them during the completion of dictionaries. Based on the above, we have divided this article into three levels: First, we tried to define the concept of lexical definition. Second, we sought to explain the different methods of definition adopted by the ancient and modern Arabic dictionaries. And the third, we have monitored - as far as possible - the importance of marking and its role in the organization of the contents of the dictionary in general and the structure of the lexical definition in particular.

Keywords: Lexicography - Dictionary- definition- methods of definition- - Arabic lexicography.

مقدمة:

تُعد المعاجم^٢ من أهم الوسائل التي تعنى بحفظ اللغة وتسجيل مختلف ألفاظها ومعانيها وأساليبها وفنونها وكذا ثقافة مستعمليها، فالمعجم هو ذاكرة اللغة الحريص على تخزين دلالات ألفاظها وتحديد طرائق وسياقات استعمالها، ومن هنا تبرز أهمية الصناعة المعجمية التي تهدف، من بين ما تهدف إليه^٣، إلى حفظ اللغة وثقافة مستعمليها وضمان استمراريتها، إذ تشكل المعاجم نوعاً "من المدونات التي تحفظ الاكتشافات البشرية بمنأى عن طوارئ الدهر المفجعة (إسماعيلي علوي، ٢٠٠٧، ص ٩)". والمنتبع لتاريخ المعاجم العربية قديمها وحديثها سيلحظ بأنها قد أثارت مجموعة من القضايا المرتبطة بصناعة المعاجم سواء من حيث الجمع أو الوضع، ونجد في طبيعة هذه القضايا ما يتعلق بترتيب مواد المعجم من جهة، وطرائق شرحها وتعريفها من جهة ثانية. وسينصب اهتمامنا في هذا المقال على الجانب الثاني المتعلق بقضية التعريف^٤ في المعجم/ القاموس العربي.

عادة ما تُقدّم عن وحدات المعجم (المداخل المعجمية) معلومات تنحو في اتجاهين: الأول يتعلق بتعريف دال اللفظ (الصورة الخارجية)، والثاني بتعريف مدلوله. ومعلوم أن المعلومات الخاصة بالصورة الخارجية للفظ تتضمن أنواعاً متعددة من المعلومات منها ما هو لغوي (إملائي، وصوتي، وصرفي، ونحوي، واشتقاقي...) ومنها ما هو منهجي، وثقافي، ومنها ما يروم تحديد مجال الاستخدام ومستواه. وتتنوع هذه المعلومات مزياً مطلوبة في المعجم؛ ذلك أن كل نوع منها يؤدي وظيفته لشرح مداخل المعجم من جهة، ويلبي حاجات مستعمليه باختلاف أغراضهم ومستوياتهم من جهة ثانية.

٢- نستعمل مصطلح المعجم (Dictionary) في هذا المقال للدلالة على الكتاب الذي يشرح مفردات اللغة، أما القدرة المعجمية التي يتوفر عليها كل

متكلم عادي للغة والتي تتضمن، من بين ما تتضمنه، معرفته بألفاظ لغته فنعبّر عنها بالمعجم الذهني (Mental Lexicon).

٣- تضطلع الصناعة المعجمية بأدوار أخرى ثقافية وأيديولوجية.

٤- يصطلح عليه المنطقة الحد، في حين يطلق عليه اللغويون التعريف.

وسنسى في هذا المقال إلى الاهتمام بقضية التعريف في الصناعة المعجمية من خلال مستويين: الأول، يتمثل في تحديد الطرائق والوسائل المعتمدة لتقديم المعلومات الدلالية في المعاجم. والثاني، سيبرز أهمية الوسم ودوره في تنظيم مواد التعريف داخل المعجم.

أهداف البحث:

- تحديد المقصود بالتعريف المعجمي.
- بيان طرائق التعريف المعجمي في المعاجم العربية.
- الإشارة إلى أهمية الوسم ودوره في تنظيم محتويات المعجم بصفة عامة وبنية التعريف المعجمي بصفة خاصة.
- تحديد التقنيات المستثمرة في المعاجم العربية الحديثة لتعريف الألفاظ.
- تقييم معجم الغني الزاهر باعتباره من أحدث المعاجم العربية؛ وذلك من خلال النظر في التعاريف التي يوظفها لشرح الألفاظ.

معلوم أن قضية التعريف من القضايا المركزية في العمل المعجمي شأنه في ذلك شأن قضية الترتيب وتحديد الرصيد/ المدونة اللغوية...، والتعريف المعجمي من أهم العناصر في المعجم إن لم نقل أهمها على الإطلاق؛ إذ هو وسيلة المعجماتي^٥ لبسط الكلمات وشرح معانيها وتحديد دلالاتها المختلفة وسياقات استعمالها. ومن ثم فالتعريف هو السمة المميزة للمعجم^٦ التي تجعله يضطلع بمهمة شرح ما استعصى من الألفاظ وبالتالي القيام بأهم وظائفه.

إن المتتبع لمعاني التعريف في المعاجم العربية سيلحظ أنها تنحصر في نطاق **الدلالة والمعنى**، أو لنقل إن التعريف هو محاولة تقديم مقابل لفظي يبسر تمثل المعنى ويقربه من ذهن المتلقي، وهو "نوع من التعليق على اللفظ أو العبارة" (بريسول، ٢٠١٥، ص ٤٠)، إنه الأداة التي يستند عليها صاحب المعجم لتقديم مختلف المعاني الدلالية، وهو المادة التي يطلبها مستعمل المعجم لفك رموز الألفاظ حين يصعب عليه فهم دلالتها.

لقد عرفت المعاجم العربية القديمة والحديثة، العامة والمدرسية طرائق متنوعة في صياغة التعريف، وهذا التنوع ناتج عن اختلاف زاوية النظر إلى ما يجب تعريفه في المعجم بين كل من المناطق واللغويين؛ نُعرف الأشياء (الذوات)؟ أم الكلمات الدالة على تلك الأشياء؟ وهذا الاختلاف حول الغرض من التعريف هو الذي أدى إلى الاختلاف في طرائقه وآلياته. وعموماً، يبدو أن مؤلفي المعاجم قد حاولوا الاستفادة من كل الآراء المطروحة في هذا الموضوع سيما وأن ثمة "نقطة التقاء بين من ينطلق من الشيء ليصل إلى اللفظ، وبين من ينطلق من اللفظ ليصل إلى الشيء" (الودغيري، ١٩٨٩، ص ٢٩٩).

٥- نقصد بالمعلومات الدلالية في المعجم أنواع التعريف التي يوظفها المعجماتي لشرح مداخل المعجم والعناصر المكونة له.

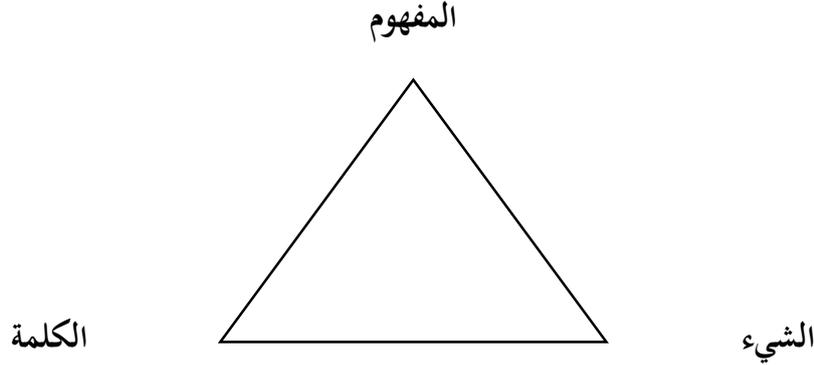
٦- يدل في مجال الصناعة المعجمية على تلك العملية التي يقوم فيها صاحب المعجم بوضع علامات يرتب ويصنف بها مكونات المدخل المعجمي، وغالبا ما تعبر عن هذه الوسوم تلك القوائم التي يضعها المعجماتي للمختصرات والرموز في مقدمة المعجم.

٧- نعتمد مصطلح المعجماتي كما وضعه الباحث عبد الغني أو العزم في كتابه المعجم المدرسي أسسه وتوجهاته، ويستعمله للدلالة على ما يعرف بصناعة المعاجم أي ما يقابل المصطلح الغربي (Lexicography) وذلك لتمييزه عن مصطلح المعجمية (Lexicology).

٨- نجد بأن التعريف هو الذي يميز المعجم عن المسرد مثلا؛ فالمعجم يشترط تقديم تعريف معجمي لكل مداخله، في حين أن المسارد تكتفي بتقديم المداخل المعجمية دون تعريفها.

لذلك نجد المعاجم اللغوية تستثمر جميع أنواع التعاريف الممكنة سواء المعتمدة عند المناطقة أو عند اللغويين متى ما أسعفتها في بيان مدلول مفهوم أو شئى أو كلمة ما.

وعموما، فإن المدخل الرئيس لتعرف أنواع التعريف المستعملة في المعاجم كما يقترح ذلك علي القاسمي^٩ هو مثلث أو غدن ورشاردز الذي يوضح طبيعة العلاقات القائمة بين الدال والمدلول والدليل أي بين الكلمة والشئ والمفهوم.



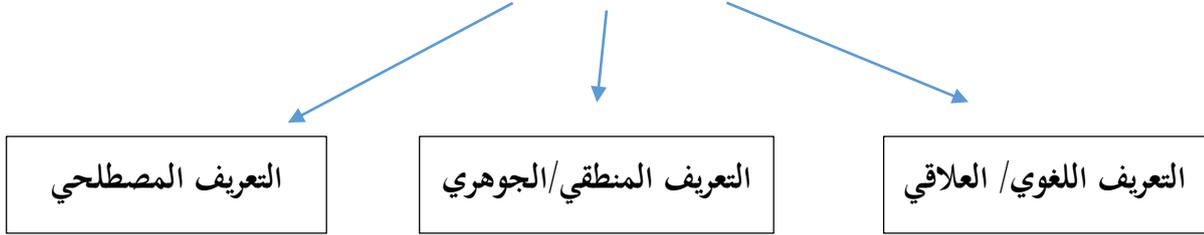
وإذا حاولنا فهم العلاقة بين هذه العناصر على مستوى اللغة سيتضح بأن "الكلمة التي يسمعها المتلقي تثير في ذهنه تصورا (أو مفهوما) للشئ الذي تعبر عنه تلك الكلمة. والعلاقات القائمة بين هذه العناصر الأساسية من عناصر عملية الاتصال هي علاقات هشة غير ثابتة ولا تخضع لقوانين فيزيائية مضبوطة؛ فالعلاقة بين الشئ والكلمة هي علاقة تواضعية (أو اصطلاحية) أي تواضع القوم أو اصطلاحوا على تسمية شئ معين باسم معين، وقد تتواضع أقوام أخرى على تسميته بأسماء مختلفة، فلا توجد أية علاقة صوتية أو شكلية بين الشئ والكلمة التي تعبر عنه. أما العلاقة بين الكلمة والمفهوم فهما علاقتان عارضتان" (القاسمي، ٢٠٠٣، ص ٧٤).

يتضح إذن، أن العلاقة بين الدال والمدلول والدليل لا تخضع لقوانين مطردة ولا ترتبط بعلاقات ثابتة، وهذا معنى اعتبارية العلاقة بين هذه العناصر؛ حيث لا نجد علاقة منطقية بينها وحتى إن بدت لنا استثناءات في ألفاظ محدودة من لغة معينة فقد لا تصدق على نفس الألفاظ في لغات أخرى.

على هذا الأساس، نجد أنفسنا أمام ثلاثة عناصر وهي الكلمة والمفهوم والشئ وتبع لها تنوع التعاريف المعجمية إلى ثلاثة أنواع وهي:

٩- ينظر لمزيد من التفصيل، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق.

أنواع التعريف



ويمكن توضيح هذه الأنواع في ما يلي:

- **التعريف اللغوي:** هو الذي يرمي إلى "إيضاح معنى الكلمة في سياقها اللغوي، أي اعتمادا على علاقاتها بالكلمات الأخرى في الجملة. (القاسمي، ٢٠٠٣، ص ٧٤). ومن طرائقه: التعريف بالمرادف، والتعريف بالسلب، والتعريف بالتضمن، والتعريف بالاشتقاق، والتعريف بالمثل، والتعريف بالتحليل، والتعريف بالصورة.
- **التعريف المنطقي:** "يهدف إلى معرفة خصائص الشيء أو الذات الذي تدل عليه الكلمة." (القاسمي، ٢٠٠٣، ص ٧٤)
- **التعريف المصطلحي:** هو تعريف يتوخى "تعريف المفهوم وليس الكلمة أو الشيء. والمفهوم تصور أو فكرة يعبر عنه بمصطلح أو رمز. ويتكون هذا التصور من الخصائص المنطقية والوجودية المتعلقة بشيء أو مجموعة من الأشياء ذات الخصائص المشتركة" (القاسمي، ٢٠٠٣، ص ٧٥).

سنحاول، فيما يلي، تقديم أمثلة ملموسة تبين خصائص ومميزات أنواع التعريف التي سبقت الإشارة إليها؛ لأن الجانب التطبيقي عنصر أساسي في كل بحث وفي هذا الصدد يقول عبد القادر الفاسي الفهري ما نصه: "أن اللسانيات مشدودة، ويجب أن تكون مشدودة إلى الذهاب والإياب بين النظري والتجريبي، حيث لا يكون النظري نظريا إلا إذا كانت له طموحات (أي توقعات تجريبية) وحيث التجريبي لا يكون كذلك إلا إذا اختير له أو كان ذا دلالة لإثبات القضايا النظرية" (الفهري، ٢٠٠٠، صص ٣١-٣٢)، أي أن أهمية الجانب النظري تبرز عندما يتم تنزيل ما تم التوصل إليه وتطبيقه، كما أن التطبيق لا يمكن أن يوجد قط إن لم يستند على معرفة نظرية.

من هذا المنطلق، سننظر في كيفية تعامل أبي العزم مع مسألة التعريف في معجم "الغني الزاهر". ويلاحظ منذ الوهلة الأولى أنه كان حريصا على هذه المسألة؛ فهو يعتبر التعريف المحور الأساسي الذي يكتسب به المعجم مكانته المعجمية، لهذا نجد معجمه يجعل مادة كل مدخل وحدة معجمية متناسقة ومستقلة؛ حيث إن "الاتساق قاعدة منهجية ترتبط ارتباطا عضويا بماهية التعريف" (أبو العزم، ٢٠١٣، مقدمة الغني الزاهر، ص XIX) رغم استحالة تطبيق هذه القاعدة على سائر مداخل المعجم؛ لأن "هناك مداخل لها خصوصيتها، تفرض تعريفا مستقلا؛ إذ تقدم داخل جملة لرفع أي نوع من الالتباس حول دلالتها في حالة تعريفها" (أبو العزم، ٢٠١٣، ص XIX)، إن التعريف ليس بالأمر الهين لأن التفاوت بين طبيعة المداخل^١ يطرح صعوبات عدة أثناء محاولة تعريفها، وهذا التفاوت يجعل طريقة إجراء التعريف ملتبسا لما يلحقه من تغيير.

١٠ - تفاوت طبيعة المداخل لأنها لا تنتمي إلى مجال معرفي واحد فمنها ما هو لغوي/أدبي وما هو علمي وما يرتبط بالعلوم الإنسانية...

ولتقليص هذا الالتباس وإن على مستوى الشكل "فإن المعجماتي عليه أن يلتزم بوضع التعريفات في قوالب متشابهة، بمعنى إيجاد وحدة مشتركة بينهما، سواء تعلق الأمر بمدخل علم من العلوم، أو بين مداخل العلوم في مجملها، وعلى سبيل المثال فإن التعريف الذي يتم الالتزام به بالنسبة لحيوان ماء، أو نبات ما يجب تبنيه بالنسبة لكل نوع من أنواعهما" (أبو العزم، ٢٠١٣، ص XIX). ومن خلال تصفح مداخل معجم "الغني الزاهر" يلاحظ سعي أبي العزم لخلق قوالب خاصة بكل مجال معرفي؛ لأجل إضفاء النسقية المعجمية على عمله، وللاستدلال على ذلك سنقدم مقارنة بسيطة لبعض النماذج:

أ - نموذج خاص بأشهر السنة:

ورد في معجم الغني الزاهر مايلي:

آب- (مع) سر (ab) أو (با).: يعني شدة الحر، الشهر الثامن من السنة الشمسية، وهو من الشهور السريانية، عدد أيامه (٣١) يوماً، يأتي بعد تموز، ويليه أيلول، ويسمى أيضاً أغسطس، غشت، أوت. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٢)

أذار- (مع) سر (adar).: الشهر الثالث من السنة الشمسية، وهو من الشهور السريانية، عدد أيامه (٣١) يوماً، يأتي بعد شباط ويليه نيسان، يسمى أيضاً مارس (أبو العزم، ٢٠١٣، ص 5)

إن تأمل مدخلي "آب وأذار" يُظهر أن ثمة تطابقاً في كيفية تقديم التعريف؛ فبعد المدخل مباشرة يتم تحديد نوع اللفظة وهي هنا (معرّبة)، وتقدم اللغة المقترضة منها (سرياني)، ثم يكتب المدخل بحروف لاتينية، ويحدد رتبة الشهر من شهور السنة، وعدد أيامه والشهر الذي بعده وقبله، ثم تذكر مرادفات المدخل إن وجدت.

ب - نموذج خاص بالنبات:

آس- (نب). (مع).: نبات من فصيلة الآسيات، وهو ما يعرف بالريحان، ذو ثمار كروية بيض مائلة إلى الصفرة، وأحياناً إلى الزرقة مع سواد، له فروع ملساء، ورقه عطر، خضرته دائمة، وأزهاره صغيرة (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٨)

آيسون، آيسون- (د) (يو) (anisum) (نب).: نبات من فصيلة الخيميات، حولي، زهره صغير أبيض، ثمره ويزاره حب صغير طيب الرائحة، يستخرج منه عطر الأنسون، ويستعمل في أغراض طبية. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ١٢)

إذا انتقلنا لمدخلي "آس و آيسون" سنجد أيضاً تماثلاً في طريقة تعريفهما؛ إذ حدد المعجم في البداية مجالهما (نبات) وفصيلتهما (الآسيات للأول والخيميات للثاني)، ونوع اللفظة (الأولى معربة والثانية دخيلة) ثم انتقل لتحديد شكل ومكونات كل منهما.

ج - نموذج خاص بالحيوانات:

أبو براقش- [ب ر ق ش] (طي).: طائر صغير من رتبة الجواثم، يعيش في الحدائق والغابات، ريشه أغبر، وأوسطه أحمر، وأسفله أسود، ينتفش إذا هيج، يغير لونه ألواناً شتى. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٣٦)

أبو الحناء- [ح ن أ] (طي).: طائر من فصيلة الشحوريات، ورتبة الجواثم صغير غرّيد، خفيف الحركة، له منقار أسود، وظهره أشهب اللون، عنقه وصدره أحمران، موطنه أوروبا والشرق الأوسط، وشمال إفريقيا. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٣٦)

لا يخرج هذان المدخلان عما أشرنا إليه سابقاً؛ إذ نجدهما يتطابقان كلياً في طريقة تعريفهما؛ فبعد المدخل ذُكر جذر الكلمتين، فمجالهما (طيور) وفصيلتها ورتبتها (الجواثم) وشكلهما ولونهما والمناطق التي يتواجدان فيها.

يتضح من خلال النماذج السابقة أن معجم "الغني الزاهر" قد وضع قوالب خاصة بكل مجال معرفي أثناء عملية التعريف، وهذا ما بدا لنا من خلال مقارنة بسيطة بين مدخليين من ثلاثة مجالات مختلفة (النبات والطيور وشهور السنة) وهو أمر مطرد في المعجم برمته - متى ما كان الأمر ممكناً - ، ويؤكد هذا الأمر ما أورده المؤلف بقوله "وهذا بالضبط ما حاولنا الالتزام به على صعيد كل المداخل، سواء أكانت فعلاً أم اسماً أم حرفاً، وبذلك تتوحد شكلاً الأنساق التعريفية الخاضعة أصلاً للتنوع بحكم طبيعتها" (أبو العزم، ٢٠١٣، ص XIX). ومن شأن هذه المنهجية أن تخلق نسقياً معجمية تمكن المعجماتي من تحديد طرائق وخطوات محددة لتعريف الألفاظ التي تنتمي إلى مجال معرفي أو دلالي معين، كما تساعد مستعمل المعجم في استيعاب ما يقروءه. إن هذه الصرامة المنهجية والدقة في وضع التعريف المعجمي ناتجة عن تشبع أبي العزم بفكرة كون "المعجم من أدوات الثقافة الهامة في مجتمعنا، فإذا كان محشواً بالخرافات والمعلومات غير الدقيقة أو غير الصحيحة، وإذا كان يفتقد إلى النظام والمنهجية... فمعنى ذلك أننا ندخل كل هذه المساوئ في عقول طلابنا، ونكون قد قدمنا عن أنفسنا صورة شوهاء إلى العالم... ونكون قد دفنا تراثنا المعجمي بدل أن نحيا صالحه" (مصري عبد المسيح، ١٩٩٧، ص ٢٣) ولعل هذا الهاجس كان موجهاً لعمل المؤلف برمته لذلك جاء في صورة جيدة تلتزم بشروط الصناعة المعجمية الحديثة من جهة، وتلبي حاجات مستعمليه من جهة ثانية، وتقدم انطباعاتاً إيجابية عن الصناعة المعجمية والثقافة العربية من جهة ثالثة.

وتجدر الإشارة إلى أن الصناعة المعجمية الحديثة تقتضي أن يكون التعريف منضبطاً لشروط محددة يمكن تحديدها فيما يلي:

- جودة وسلامة التعبير.
- اعتماد لغة واضحة وبلغية، إن أمكن ذلك، وتقادي الغموض والايحاء.
- الأيجاز غير المخل.
- الخلو من الزوائد.
- دقة اختيار الشواهد وخضوعها للانتقاء والفرز.

إن التعريف الجيد هو الذي يلتزم بالشروط السابقة؛ إذ يجب التعبير عن المدخل بجودة متناهية ولا يقصد بالجودة هنا إتقان التعريف وسلامته اللغوية فقط، وإنما يتجاوز ذلك لأداء الوظيفة البيانية والإيضاحية، ولتحقيق هذا يجب اعتماد لغة واضحة ودقيقة تبتعد عن الغموض والايحاء. وتزداد قيمة التعريف باستعمال الشواهد التي تكسبه طابع الإيضاح والحجية والمكانة المعجمية. ونجد عبد الغني أبو العزم يولي عناية بالغة بالشواهد في معجمه ف"لا قيمة لمعجم دون شواهد، ولم يصر بالإمكان إغفال قيمتها المضافة بجانب التعريف للمزيد من الإيضاح، وتأكيد التطابق من حيث الشكل والمضمون" (أبو العزم، ٢٠١٣، ص XXII).

لقد نالت قضية التعريف حيزاً كبيراً في الدراسات المعجمية قديمها وحديثها ما نتج عنه الوصول إلى مجموعة من النتائج، وتم تحديد المواصفات أو الشروط التي ينبغي أن يلتزم بها أثناء إجراء التعريف المعجمي،

وفي نفس السياق حددت مجموعة من المزالق والعيوب التي تشوب التعريف والتي يجب تجاوزها في الصناعة المعجمية الحديثة سيما وأن عملية التعريف ليست أمرا سهلا، بل تحتاج إلى "كفاية لغوية/لسانية في ضوء الكفاية المعجمية، إلا أن هذه الكفاءة تصطدم في العديد من الحالات بصعوبات جمة، تجعل المعجماتي عاجزا عن تقديم تعريف سليم تتوافر فيه الشروط المعجمية" (أبو العزم، ٢٠١٣، ص XXV).

لقد حدد أبو العزم في مقدمة معجمه مجموعة من الاختيارات التي يتجه إليها المعجماتي متى ما وجد صعوبة في إيجاد تعريف مناسب، وهي وإن كانت تعاريف مساعدة في بعض الأحيان، إلا أنها تظل عيوباً -في نظرنا- يجب تجنبها أثناء القيام بالتعريف. ومن بين هذه الاختيارات ما يلي (أبو العزم، ٢٠١٣، صص XXV/XXIX):

- ١- الاحتفاظ بتعريف معجمي على الرغم مما يتضمنه من غموض.
- ٢- إعادة شرح المدخل شرحا لا يضيف شيئا على معناه، أي تكرار لمشتقاته فقط.
- ٣- إعادة تقديم المدخل بكلمات شبيهة وغير مغايرة من دون تحليل تعريفي.
- ٤- شرح مدخل معروف بكلمة أو كلمات غير معروفة أو ملتبسة تعقد ما هو معروف.
- ٥- تقديم مقابل يكون أقل وضوحا.
- ٦- اللجوء إلى الشمول والاحتواء؛ سيف: نوع من الأسلحة.
- ٧- اللجوء إلى الترادف.
- ٨- اللجوء إلى تعريف سالب لبعض الأسماء.

تلكم إذن بعض الاختيارات التي يلجأ إليها المعجماتي لتذليل الصعاب التي يواجهها أثناء تعريف المداخل. ومن خلال ملاحظتها، يتضح أن منها ما هو مرفوض رفضا تاما أثناء إجراء التعريف؛ لأنه لا يضيف شيئا، ولا يقدم معرفة لمستعمل المعجم حول المدخل المراد توضيحه بقدر ما يشوش ذهنه، ما قد يؤدي أحيانا كثيرة إلى نفور القارئ من المعجم، وفقدان الثقة فيه خاصة إذا كانت هذه الأنماط من التعاريف حاضرة بشكل كبير في بنية المعجم. والأنواع الخمسة الأولى تمثل النوع المرفوض، أما الاختيار السادس والسابع والثامن فقد يُقبل وجود عدد محدود منها في المعجم تجاوزا فقط لاستحالة خلو المعجم منها بالمطلق. ومع ذلك، فهناك طرائق لتذليل سلبياتها؛ فمثلا اللجوء إلى الترادف قد يكون مقبولا إذا ما عزز بشواهد لهذه المترادفات في سياق الاستعمال لبيان الدلالات الخاصة للألفاظ؛ لأننا نعرف أن الترادف أنواع ففيه ما يتطابق كلياً أو جزئياً...، واللجوء إلى الشمول والاحتواء إن لم يقدم تعريفا دقيقا للمدخل؛ فهو يؤطره عموما في مجاله المعرفي بنسبة معينة قد يعين المتلقي على التقاط دلالاته سيما إن ورد في أمثلة وشواهد متنوعة.

من هذا المنطلق، سنحاول بحث مدى كفاية التعريف المعجمي في معجم الغني الزاهر من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية: ما طرائق التعريف المتبعة في معجم الغني الزاهر؟ وما مدى جودتها وكفايتها المعجمية؟ وكيف استثمر أبو العزم الشاهد لتوضيح المداخل المعجمية واستعمالاتها المختلفة؟

لما كان من الصعب جدا تتبع أنواع التعريف في معجم "الغني الزاهر" برمته لضخامته من جهة، وكثافة مادته من جهة ثانية، سنعمل على تحديد الأنواع التي اعتمدها المعجم من خلال عينة تمثيلية مستلة من مداخل حرف من حروف المعجم، وقد وقع اختيارنا على المداخل المندرجة ضمن المادة.

من خلال عملية إحصائية وجدنا أن مداخل المادّة بلغ عددها حوالي مئة وستين مدخلا حاول أبو العزم أن يعرفها بطرائق مختلفة ومتنوعة. وسنكتفي هنا بإيراد بعض النماذج المبينة لطرائق التعريف التي اعتمدها المعجم في شرح المداخل والتي لا تخرج عن الأنواع العامة التي سبقت الإشارة إليها.

١. التعريف اللغوي/ العلاقي

إن المعجم ليس مجرد قوائم للكلمات مع شرح لها، بل هو كتاب ذو نظام معين محكوم بمجموعة من العلاقات القائمة بين وحداته ما يوحي بأن له بنية خاصة، "وليس معنى هذه البنية فحسب أن الألفاظ توجد في القاموس متعايشة متساكنة مع بعضها إلى جانب بعض في وعاء يشملها جميعا، ولكن معناه أيضا - وهو المقصود هنا- أن هناك علاقات اتصال وعلاقات انفصال سواء على مستوى الدال أم على مستوى المدلول (الودغيري، ص ١٩٨٩، ص ٣٠٠)، وعلى أساس هذه العلاقات يتم تحديد معاني الألفاظ؛ فمعرفة علاقة المدخل المراد شرحه بالكلمات الأخرى يسهم بشكل كبير في تحديد دلالتها. و يلاحظ أن معجم الغني الزاهر يستثمر مختلف العلاقات في إجراء التعريف ومن أمثلة هذه التعاريف العلاقية ما يلي:

١،١ التعريف بالمرادف

إن المقصود بالترادف هنا هو ارتباط لفظ بآخر واتصاله به كقولنا مثلا الأسد هو الليث، ومعنى هذا أن التعريف بالترادف يتعلق بإيراد معادل اسمي للكلمة المعرفة لأجل إيضاح معناها، وهذا يفرض بالضرورة وضع كلمة واحدة مقابل أخرى. إن هذا النمط من التعريف موجود بوفرة في المعاجم العربية قديمها وحديثها لمزاياه المتعددة فهو "يحقق شيئا مما تسعى إليه القواميس عامة وهو الإيجاز، والاقتصاد، كما أنه صالح وحده لوضع مقابلات للمصطلحات الأجنبية. ولكنه ليس من السهل دائما أن يجد المرء مرادفات للألفاظ التي يريد تعريفها، فكثير من الكلمات التي يُعتَقَد أنها ترادف ألفاظا أخرى قد لا تكون كذلك لوجود فوارق دقيقة لا تتجلى على حقيقتها إلا عند الاستعمال" (الودغيري، ١٩٨٩، ص ٣٠١). ونجد هذا النوع من التعريف حاضرا بقوة في معجم الغني الزاهر، ومن نماذجه في حرف المدة نورد ما يلي:

أَنْبٌ، أَيَّبٌ- [أ و ب] (فا. أب). "أنب من عمله: راجعٌ، قادمٌ، عائدٌ... (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٢)

أَثَرَ- [أ ث ر] (ف: ر.م. مح). يؤثر، مص. إيثار. ١. "أثر الشيء": فَضَّلَهُ، اختاره... (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٣)

أَثَلٌ، ة- [أ ث ل] (فا. من أثل). "أمر أثل": متأصل، ثابت. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٣)

أَدَمٌ^{١١}- [أ د م] (ف: ر. لا. م. مظ). يؤدم، مص. إيدام. ١. "أدم بين المتنازعين": أَصْلَحَ، أَلْفَ، وَفَّقَ بينهم... (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٥)

أَرَبٌ- [أ ر ب] (ف: ر. لا. مح). يؤرب، مص. إيراب. "أرب عليه": فَازَ. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٧)

أَرَبٌ، ة- [أ ز ب] (فا. من أرب). "ماء أرب": جَارٍ. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٧)

من خلال المداخل السابقة، يتضح أن التعريف بالمرادف قادر على توضيح دلالة المداخل سواء تم تقديم مرادف واحد أو أكثر، ويبدو من خلال تصفحنا لمداخل المادّة أن هذا النوع يُعد من أكثر التعاريف المستعملة في المعجم لما يوفره من اقتصاد واختزال وسهولة لاستيعاب معاني المدخل. ونجد أبو العزم يقدم هذه المرادفات في أمثلة وشواهد متنوعة ومن شأنها أن توضح المدخل أكثر.

١, ٢. التعريف بالضد/ السلب:

يُعد التعريف بالسلب أو الضد أو المقابل من الأنواع المعروفة في المعجمية العربية، ويقصد به شرح الكلمات عن طريق خلق علاقة تقابل بين كلمتين على مستوى المدلول كأن يقال مثلا أثناء تعريف الحي بأنه ضد الميت...، وهو نوع يضطلع بمهية كبيرة؛ فكثيرا ما نقول بأن "الأشياء تعرف بأضدادها". ويشترط في هذا النوع من التعريف تقادي ما يسمى بالدور^{١٢} والتسلسل المعجمي.

بعد ملاحظة مداخل المدّة في معجم "الغني الزاهر" تبين أنه نادرا ما يستعمل هذا النوع من التعريف؛ فقد استعمله مرة واحدة أثناء شرح مداخل المدة التي بلغ عددها حوالي مئة وستين مدخلا. ولعل أبا العزم يتحفظ من استعمال هذا النوع من التعريف وبعده من الاختيارات التي يُلجأ إليها عند الضرورة القصوى فقط. والمثال الذي ورد في مدخل المدّة هو التالي:

أجل- [أ ج ل] ١: وقت متأخر. "سيصل عاجلا أو آجلا". ٢: "رجل أجل": فتأخر، نقيض العاجل... (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٤)

يبدو أن المعجم يوظف هذا النوع لزيادة الايضاح فقط لا باعتباره تعريفا مكتفيا بذاته؛ حيث تم تحديد معنى "أجل" بالقدوم في وقت متأخر واستشهد على هذا الاستعمال بمثال "سيصل عاجلا أو آجلا"، ثم قُدم بعد ذلك النقيض الذي عبرت عنه العبارة التالية: "نقيض العاجل".

١, ٣. التعريف بالتضمن:

ومعناه أن يقوم المعجماتي أثناء إجرائه للتعريف بخلق علاقات دلالية معينة بين الألفاظ كأن تُذكر في التعريف ما يتضمن المعرف ويدخل تحت جنسه، ومن هذه العلاقات علاقة الشمول والمشمول عليه، وعلاقة التدرج، وعلاقة الجزء بالكل. ومثال ذلك أن تقول إن الطائر هو عنصر عام تنضوي تحته أنواع فرعية كالصقر والحمام والبيغاء...، وبما أن لفظ الطير ليس حدًّا هذا النوع أمكننا أيضا ربطه بعنصر أشمل منه وفق علاقة تراتبية. وهكذا فإن الصقر عنصر مدرج ضمن طائر، وطائر بدوره يمكن إدراجه تحت عنصر حيوان وهكذا دوليك، أما بالنسبة لعلاقة الجزء بالكل فتتمثل مثلا في علاقة اليد بالجسد أو العين بالوجه... ومن أمثلة هذه النوع من التعريف في الغني الزاهر نورد ما يلي:

أبنوسية- : مادة سوداء صلبة، تُتخذ من خلط الكبريت بالمطاط النقي، غير موصلة للكهرباء. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٣)

١٢- كأن تشرح على سبيل المثال النوم بالوسن، ثم تفسر الوسن بأنه الرقاد، ثم تفسر الرقاد بأنه النوم، ما يجعل مستعمل المعجم يدور مع هذه الألفاظ وقد يفقد وقتا وفيرا دون أن يستفيدا شيئا.

٤,١. التعريف بالاشتقاق:

يعتمد هذا النمط من التعريف على تفسير الألفاظ عن طريق الإحالة على أصولها الاشتقاقية. إنه تعريف علاقي يحاول أن يراعي علاقة الفرع بالأصل، ويُعتبر من التعاريف المنتشرة بكثرة في المعاجم، لبساطته واقتصاده من جهة، وسرعة المتلقي في استجلاء دلالاته من جهة ثانية. ومع ذلك، يظل هذا النوع غير كاف لكي يعتبر تعريفاً مستقلاً بذاته، وإنما يمكن أن يكون جزءاً رئيساً منه يتكامل مع عناصر أخرى كالشاهد والوسم وأنواع أخرى من التعريف... لتقديم شرح كافٍ وكامل للمداخل. وإذا ما نظرنا إلى مختلف مداخل المدّة في معجم "الغني الزاهر"، سنجد أن المؤلف كثيراً ما يوظف هذا النوع باعتباره جزءاً من التعريف فقط؛ فهو لا يكتفي برّد الكلمات إلى أصولها فقط، بل يعمل -بعد ذلك- على تقديمها في تراكيب والاستشهاد على مختلف معانيها، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أَثَمَ- [أ ث م] (ف: ر. م). يؤثم، مص. إيّام. ١. "أثم جاره": أوقعه في الإثم، وجعله أثماً. ٢. "أثمه القاضي": عده أثماً. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٣)

أَجَجَ- [أ ج ج] (ف: ر. م). يؤجج، مص. إيجاج. "أجج الماء" جعله أجاجاً، أي مرا لاذعاً وذا ملحوة. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٣)

أَنَثَ- [أ ن ث] (ف: ر. لا). يؤنث، مص. إيناث. "أنثت الحامل": ولدت أنثى. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ١٢)

أَسَفَ- [أ س ف] (ف: ر. م). يؤسف، مص. إيساف. ١. "أسف غريمه": جعله يأسف. ٢. "أسف جاره": أغضبه... (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٨)

أَسَنَ- [أ س ن] (ف: ر. م). يؤسن، مص. إيسان. "أسنته الرائحة الكريهة": جعلته يأسن. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٨)

أَرَّخَ- [أ ر خ] (ف: ر. م). يؤارخ، مص. مؤارخة. "أرّخ الحارث": أرّخه، أي حدد تفاصيله وزمنه. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٧)

أَرَّقَ- [أ ر ق] (ف: ر. م). يؤرق، مص. إيراق. "أرق صاحبه": جعله يأرق، أرّقه، أي منعه من النوم. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٧)

يظهر إذن، أن التعريف بالاشتقاق أداة هامة لدى المعجماتي لتوضيح دلالة المداخل. غير أنه لا يجوز اعتباره تعريفاً كاملاً، بل هو عنصر هام من العناصر التي يمكن أن تشكل التعريف، ولهذا نجد المؤلف قد اعتمد بكثرة على التعريف بالاشتقاق وذلك ما تبينه الألفاظ المكتوبة بخط مضعوط، ولكنه يعززه بمجموعة من الأمثلة لكي يزيد درجة الإيضاح.

٥,١. التعريف بالمثل:

يُعد المثل جزءاً من التعريف يُعتمد عليه لتقديم شرح واضح للمدخل المعجمي المراد شرحه في نطاق الاستعمال؛ إذ يوظف المعجماتي الكلمة/المدخل في أمثلة تبين سياقات استعمالها اللغوية، وهذا ما يجعل من المثل عنصراً مسانداً للتعريف في شرح المداخل، كما أنه يُكمل التعريف إذا كان غير تام، ويحدد دلالاته بدقة، ويتجاوز كل تعميم وغموض ممكن. وعادة ما يوضح المعجماتي كلمة المدخل في جملة بسيطة تامة ومختزلة؛ لأن من الألفاظ ما لا يظهر معناه إلا بوضعه في تراكيب معينة "جملة، مثال..." ونجد هذا النوع من التعريف حاضراً بقوة في ما يسمى بالألفاظ النحوية (عن- من - الذي- حروف الهجاء...)،

فمثلا إذا اكتفينا بتعريف "عن" مثلا بأنه حرف جر فقط "لما كان في ذلك فائدة لغير النحوي. أما القارئ العادي الذي يهمله أن يعرف كيف يستخدم هذا اللفظ في اللغة العربية فلا بد له من أمثلة تبين له ذلك من قبيل قولنا: (ضربت عنه صفحا).- (سمعت عنه خبرا).- (كتبت عنه تقريرا)... " (الودغيري، ١٩٨٩، ص ٣٠٣) ومن أمثلة التعريف بالمثل في "الغني الزاهر" ما يلي:

أخرُ- ج. آخرون. مؤ. أخرى. ج. أخريات. [أخ ر] ١. "كان هو الآخر متغيبا" هو أيضا.* "أنا الآخر لم آت في الموعد". ٢. "يأتي من أن لآخر": من حين إلى حين. ٣. "وقعت حادثة أخرى في مكان آخر": حادثة ثانية في مكان ثن. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٤)

أخرُ، ة- ج. آخرون. مؤ. أخرى. ج. أخريات [أخ ر] ١. "وصل آخر المتسابقين": من كان بعد غيره من المتسابقين. "كانت ريحانة تحدثنا وتقول: أنا آخرة قومي وقد أكلتهم النار جميعا" (محمود المسعدي). ٢. "وصل في آخر الأمر": في نهاية الأمر.* "في آخر الزمان". ٣. "قرأ القرآن إلى آخره": بكامله. ٤. "لا أفعله آخر الدهر": لا أفعله أبدا. ٥. "إلى آخره": هلم جرا. ٦. الآخر: من أسماء اللف الحسنى، القائم بلا نهاية، الباقي بعد فناء الخلق. (هو الأول والآخر) (قرآن). ٧. "آخر العنقود": آخر حبة من حباته، كناية عن أصغر الأولاد. ٨. "آخر صيحة": أحدث طراز، ابتكار. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٤)

آد- (ف: ث. لا. م). يؤود، أوْد. ١. "آد العشي": مال. ٢. "آد عليه" عطف. ٣. "آد العود" إنثنى واعوج. ٤. "آد العود": إعتد عليه فثناه وعطفه، حناه. ٥. "آد الحمل حمله": أثقله وأجهده. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٥)

آن- [أ و ن] (ف: ث. لا. مح). يؤون، مص. أوْن. ١. "آن على نفسه": ترفق بها. ٢. "آن الضيف": إستراح. ٣. "آن التاجر": صار في سعة من العيش. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ١١)

أسر، ة- [أ س ر] (فا. من أسر). ١. "حديث أسر": جذاب، ممتع. ٢. "جمال أسر": خلاب. ٣. "عيون أسرة": ساحرة. ٤. "قوة أسرة": نافذة.* "غمرت صدرها كل أحلامها بقوة أسرة". (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٨)

إذا تأملنا المداخل أعلاه، سيتجلى لنا بوضوح مدى أهمية التمثيل في المعجم؛ حيث إن له وظيفة بيداغوجية تتمثل في تقريب معنى المدخل وتحديد استعمالاته المختلفة، ولبيان ذلك يورد المعجماتي كلمة المداخل في سياقات استعمالها المشهورة. لقد وظف أبو العزم أمثلة لا حصر لها في معجمه وحافظ بذلك على التقاليد المعجمية القديمة التي كانت تعتبر المثال عنصرا لا محيد عنه في بنية التعريف رغم أنه كان من أسباب تضخم المعجم، إلا أن أهميته ووظيفته التعليمية فرضنا حضوره بشكل لافت في المعجم.

٦,١. التعريف بالصورة:

تعتبر الصورة مكملا هاما للتعريف المعجمي، وتوظيف الصور والرموز تقليد نادر في المعاجم القديمة وحاضر بقوة في الحديثة خاصة المدرسية منها، والصورة أو الرموز تُقدم تكملة للتعريف فقط، ولا تعتبر تعريفا كاملا. ويلاحظ أن المؤلف قد اعتمد على هذا النوع ووظفه في مجموعة من المداخل كإضافة لزيادة الايضاح؛ حيث نجد في الغني الزاهر الأمثلة التالية:

أجرة- ج. أجر. مع فر.: طين من التراب الأحمر يعجن ويوضع في قوالب مستطيلة ويشوى* "شيدت جدران العمارة بالأجرة". (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٤)

أبنوس أبّوس، أبّوس - نب (د) يو. (abenos) مأخوذ من الاسم العلمي (abenus). شجرة من مجموعة الأبنوسيات وفصيلة القرنبيات، تنبت في الحبشة والهند، خشبها صلب ناعم، ثقيل الوزن، يزداد سوادا على مر الأعوام، ذو رائحة طيبة، تصنع من ألواح أدوات وأثاث وأوان... (أبو العزم، ٢٠١٣، صص ٢-٣)

أكل النمل- أكل ل حو.: من فصيلة الثدييات، فقاري، له لسان طويل يلتقط به الحشرات، يتغذى بأنواع النمل. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ١٠)

يلاحظ أن المعجم قد أورد المداخل السابقة مع صور مصاحبة، حيث نجد أجورة حمراء بجانب مدخل آجرة تكمل التعريف المقدم وتزيده إيضاحا. وكذلك الأمر بالنسبة لمدخل أبّوس الذي قدمت معه صورة لشجرة خضراء مع تكبير غصن منها لبيان شكل أوراقها تمييزا لها من غيرها، أما أكل النمل فقد وضعه المعجم بصورة تبيّن شكله ولونه وكيفية التقاطه للنمل بلسانه. وعموما، فإن للصورة دورا هاما في تقريب المعنى من المتلقي حتى أنك تقرأ أحيانا مدخلا من المداخل ولا تتعرف على معناه الدقيق إلا بملاحظة الصورة المصاحبة له.

٢. التعريف المنطقي:

يُهتم في هذا النمط من التعريف بتحديد الخصائص الجوهرية للشيء المراد تعريفه؛ وذلك بتحديد اللفظ الدال على جنس الشيء ثم الانتقال إلى بيان خصائصه وعناصره. والمثال المشهور الذي يعكسه هو تعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق. ومن المناطق من يميز في هذا النمط بين نوعين من التعريف: "التعريف بالحد، والتعريف بالوصف. فالأول يحدد خصائص الشيء الجوهرية فقط ويتم ذلك عادة بالنص على جنس ذلك الشيء وفصله، ليكون التعريف جامعا مانعا، ويتخذ تعريف أرسطو للإنسان بأنه حيوان ناطق مثالا على ذلك. أما التعريف بالوصف فيأتي على خصائص المعرف الجوهرية وغير الجوهرية، فنصف الإنسان بأنه حيوان له يدان ويمشي على رجلين ويتكلم ويسمع إلخ.. " (القاسمي، ٢٠٠٣، ص ٧٤)، ويرى عبد العلي الودغيري أن القواميس اللغوية عند اعتمادها للتعريف الجوهرية "عادة ما تكون تعاريف بسيطة وسريعة وسطحية، وأحيانا تكون غامضة إذا هي لجأت لاستعمال لغة العلوم الاصطلاحية" (الودغيري، ١٩٨٩، صص ٢٩٩-٣٠٠). ومن أمثلة التعريف المنطقي في المعجم نجد:

آءة- [أ و] (نب): نبات زراعي، من فصيلة الجناحيات، أزهاره بيض، تشبه السنابل، دائم الأوراق، طعمها مر، تصلح للدباغة. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٢)

أذان الأرنب- [أ ذ ن] (نب): عشب من فصيلة الجمجمات، يعرف بلسان الكلب، لع أوراق تشبه أذان الأرنب، تحمل شعيرات شائكة صلبة، زهره جميل أزرق، قمعي الشكل، يطي ثمارا خشنة تعلق بالثياب لما فيها من شوك. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٦)

أذريون- (نب) (د): نبات ذو زهر، من فصيلة الأنوبيات المركبة الزهر، ينبت في الخريف، يختلف زهره من أصفر إلى أحمر إلى لون الذهب، في وسطه خمل أسود، له منافع ومزايا طبية، يعالج الجروح وهو مضاد للالتهابات، من أنواعه: آذرون الماء، وأذريون المستنقعات... (أبو العزم، ٢٠١٣، ص ٦)

تلكم بعض النماذج التي توضح اعتماد معجم "الغني الزاهر" على التعريف المنطقي خاصة في جانبه المتعلق بالوصف؛ حيث حاول المعجم تعريف هذه النباتات من خلال تحديد جنسها وفصلها وعناصرها وألوانها وهو هنا يقدم الخصائص الجوهرية وغير الجوهرية لهذه النباتات. ويبدو أن المعجم كثيرا ما يتجه إلى هذا النوع من التعريف أثناء شرحه لمجالات معرفية معينة كالنباتات والحيوانات وهذا ما بدا لنا من خلال مداخل المادّة. ولا تنطبق ملاحظة الدكتور عبد العلي الودغيري على معجم الغني الزاهر فهي ليست تعاريف سطحية، وإنما تعاريف دقيقة تتم عن بحث مكثف لتحديد معاني الألفاظ سواء كانت كلمات أو أشياء أو مصطلحات...

بعد ملاحظتنا لمختلف مداخل المادّة، اتضح أن معجم "الغني الزاهر" يستثمر مختلف أنواع التعريف الممكنة لشرح مداخل المعجم بطريقة واضحة وبسيطة، وهذا ما يبينه من خلال سؤق أمثلة متعددة لطرائق التعريف في المعجم. ولا يبدو أن للمؤلف موقفا محددًا في مسألة التعاريف، فهو لا ينحاز لرأي المناطق ولا اللغويين، بل يوظف كل الاختيارات الممكنة متى ما بدا له الأمر مفيدا في شرح معنى الألفاظ وإزالة الغموض عنها. وعلى هذا الأساس، كانت مختلف التعاريف المقدمة في "الغني الزاهر" تتميز بالخصائص التالية:

- كونها تعاريف تمزج بين التعريف الاسمي والشئئي.
- تتجاوز شرح المدلول إلى تقديم معلومات حول الدال.
- تعمل على بيان معنى المدخل عبر استخدامه في أمثلة، أو الاستشهاد عليه بنصوص لها حجية لغوية.
- تمزج بين أنواع متعددة من التعريف أثناء الشرح؛ كأن نجد في تعريف واحد أنه يوظف الشرح بالمرادف وتقديم الضد والتمثيل للكلمة لبيان مختلف استعمالاتها.
- خلق قوالب لكل مجال معرفي ما يسهل على المتلقى عملية الاستيعاب من جهة، ويساهم في خلق النسقية المعجمية من جهة ثانية.
- اعتماد الوسم كآلية تنظيمية لمختلف مواد المدخل إما باعتماد المختصرات والرموز، أو علامات الترقيم المتنوعة.
- يلاحظ أن أكثر أنواع التعريف استعمالا في المعجم هو التعريف بالمرادف والاشتقاق والمثال، في حين نجد حضورا قليلا للتعريف بالصورة والتضمن والتضاد.
- عدم ايراد تعاريف المعاجم القديمة الغامضة، بل تمت الاستفادة منها وتجويدها حتى أصبحت واضحة ودقيقة وتبتعد عن الغموض.

ومن خلال ملاحظتنا لمختلف مداخل المعجم أثار انتباهنا دقة تنظيم محتويات المعجم؛ حيث كان المعجم يعتبر "الترقيم وعلامات النقط والفواصل ... وحدة من وحدات المعجم" (أبو العزم، ٢٠١٣، ص XIX) ما حثنا على محاولة دراسة الوسم المعتمدة في معجم الغني الزاهر باختلاف أنواعها؛ وذلك لسببين اثنين: الأول هو كون الوسم عنصرا مركزيا في الصناعة المعجمية عامة، وفي إجراء التعريف المعجمي خاصة. والثاني، هو الدور التوضيحي الكبير الذي يقوم به الوسم لمساعدة مستعمل المعجم على الاستفادة من مجمل المعطيات التي يقدمها المعجم سواء على مستوى البنية الكبرى أو الصغرى للمعجم. لهذه الأسباب ارتأينا أن يكون الوسم المعجمي موضوع الجزء الموالي من هذا المقال.

٣. الوسم في معجم "الغني الزاهر"

معلوم أن الوسم المعجمي لم ينل عناية كبيرة في الدراسات المعجمية خاصة عند العرب رغم الدور الكبير الذي يلعبه في تصنيف المعلومات المقدمة في التعاريف المعجمية وكذا في تمييز المدخل. ولعل سبب هذا الإهمال راجع إلى عدم اهتمام المعجميين بهذا الجانب عند إنجازهم لمعاجمهم؛ فغالبا ما لا نجد السمات المصاحبة للمداخل وترتيبها في المعاجم العربية خاصة القديمة منها، وحتى إن وجدت فكثيرا ما تعثر بها نقائص عدة غالبا ما تؤدي إلى نوع من الاضطراب والخلط في المعجم، ويمكن اعتبار هذا النقص وجها من وجوه غياب الدقة والصرامة المنهجية أثناء إنجاز المشاريع المعجمية. فما المقصود بالوسم المعجمي؟ وما أشكاله ووظائفه؟ وما علاقته بالتعريف المعجمي؟ وكيف استثمره أبو العزم في معجمه؟ وما نتائج هذا الاستثمار؟

إذا عدنا لمعجم "الغني الزاهر" لنبحث عن معنى الوسم سنجد التعريف التالي:

وسْمٌ - ج. وسوم. [و س م]. ١. أثر، علامة. "ترك الجرح وسما على جسده". ٢. "وسم دابة": كَيْهًا. ٣. سِمَةٌ "أبصر وسم قدحك" (مثل): أي لا تتجاوز قدرك. (أبو العزم، ٢٠١٣، ص 2532)

يبدو من خلال هذا التعريف أن للوسم لغة معنيين رئيسيين: الأول، هو عملية الكي ويقصد بها وضع علامة على جسد الدابة. والثاني، هو أثر هذا الكي أي العلامة التي يتركها على الجلد، أما اصطلاحا فيمكن تحديد الوسم "بأنه العملية التي يقوم فيها صاحب المعجم بوضع علامات يسمُ بها مداخله"، وغالبا ما تعبّر عنها في الصناعة المعجمية تلك القوائم التي يضعها المعجماتي للمختصرات والرموز المستعملة في المعجم.

إن الصناعة المعجمية كغيرها من الصنائع^{١٣} تحتاج إلى أدوات ووسائل تؤسس بها لهذه الصناعة كتحديد نوع الترتيب المتبع وحصص المادة اللغوية وتنظيمها، واختيار التعريف المناسب لشرحها. زد على ذلك، مختلف الوسوم التي يستعين بها المعجماتي أثناء وصفه للمادة اللغوية. إن هذه الوسوم هي "اللغة الواصفة التي يستعين بها المعجمي في تقديم مداخله وتعريفها" (بزي حمزة، ٢٠١٤، ص ٤٠٤)، وعادة ما نجدها على ثلاثة أشكال:

الأول: استخدام ألفاظ معينة بدلالات اصطلاحية خاصة يحددها المعجماتي في مقدمة المعجم كتوظيف الألفاظ التالية مثلا: مؤنث، مثنى، مصدر...

الثاني: يتمثل في اختصار النوع الأول؛ إذ تتم الاستعاضة عن الكلمة الواصفة بحرف أو أكثر من حروفها، فنستعمل مثلا (مؤ) للدلالة على المؤنث، و(مث) للدلالة على المثنى، و(مص) للدلالة على المصدر وهكذا دوليك.

١٣ - لم يحسم الأمر بعد في كون المعجمية علما أو فنا (صناعة)، كما لا يزال الغموض يشوب علاقة المعجمية باللسانيات؛ فهناك من يعتبرها فرعا من فروعها، في حين يرى آخرون أنها مجال مستقل بذاته. ينظر في هذا الصدد:

أ- What is Lexicography, Henning Bergenhotz

ب- Historical Development Of Lexicographical Genres : Some Methodological Issues, Miroslawa Podhajecka

ج- Theoretical Challenges To Pratical Specialiszd Lexicography, Sven Trap

الثالث: يتمثل في استخدام رموز معينة لوصف المادة المعجمية وعادة ما تكون هذه الرموز عبارة عن أرقام وعلامات الترقيم (كالخط -، والنقطتين ؛، والمزدوجتين " "، والمعقوفتين []، والقوسين ()...) وبعض الأشكال ...

نلاحظ من خلال ما سبق، أن ثمة وسوما متعددة يمكن للمعجماتي أن يوظفها في معجمه لأجل وصف المادة اللغوية بدقة متناهية؛ حيث تمكنه هذه الوسوم من مزايا عديدة من أهمها: تحديد أنواع المداخل ضمن أقسام الكلم، وتأطيرها ضمن مجال معرفي معين، كما تساعد المختصرات على تقليص حجم المعجم، أما الرموز وعلامات الترقيم فتضطلع بمهمة تنظيم المادة اللغوية وتصنيفها درءا لكل التباس قد يشوب مواد المدخل ويضيق طريق الفهم على المتلقي.

وعموما، فإن الوسم المعجمي له وظائف عدة من أهمها:

أ- **الوظيفة اللغوية:** المتمثلة في الوصف النحوي^{١٤}؛ حيث يقوم هذا الوصف بتحديد الوحدة المعجمية "فيما يتعلق بأصواتها وتصريفها وانتائها المقولي إلى قسم من أقسام الكلم، وغير ذلك. والغاية من الوسم هنا أن تستخدم الوحدة المعجمية استخداما مضبوطا يوافق قواعد اللغة وأصولها؛ فيشار مثلا إلى كيفية نطق الكلمة بكتابتها كتابة صوتية لأن المنطوق قد يخالف المكتوب، فقد يكون في الكلمة حرف مكتوب ليس له دور في النطق، أو لا يكون في الكلمة المكتوبة حرف يقابل صوتا من أصواتها... كما يشار في الوسم إلى المقولة النحوية للكلمة فيشار إلى أنها اسم أو فعل أو اسم فاعل، أو اسم مفعول... (حمزة، ٢٠١٤، ص ٤٠٦) وقد يفصل في هذا الانتماء المقولي، فيشار إلى الفعل على أنه لازم أو متعد وإلى نوع الاسم وعدده (مذكر مؤنث) (مفرد مثنى جمع...).

ب- **الوظيفة العلمية والموسوعية:** فالمعجماتي يخصص وسوما خاصة أثناء تعامله مع مصطلح علمي أو فني له دلالة خاصة في حقل معرفي معين "ويأتي هذا الوسم هنا ليحدد انتماء المصطلح إلى حقل من حقول المعرفة دون غيره. ويقتضي هذا الوسم تصنيفا للمعارف والعلوم والفنون إلى حقول متعددة. وقد يختار صاحب المعجم أحيانا أن يصنف الحقل الواحد إلى عدد من الحقول الفرعية... (حمزة، ٢٠١٤، ص ٤٠٧)

ج- **الوظيفة الدلالية المعجمية:** يقصد بها مختلف الوسوم التي يعتمدها المعجم لتقديم وتعريف الوحدة المعجمية وبيان العلاقات التي تربط عناصرها فيما بينها، وغالبا من تحضر هذه السمات أثناء الشرح؛ حيث نجد سمات خاصة لإيراد التعريف وأخرى لعرض الأمثلة والشواهد وأخرى لتقديم المترادفات والمتقابلات، وكذا لتحديد المعاني المتعددة للمادة الواحدة.

إذا كانت المعاجم القديمة مقلدة في تحديد الوسوم المعتمدة في شرح المادة اللغوية، فإن المعاجم الحديثة قد درجت على أن تمهد للمعجم بمقدمة تكون بمثابة دليل للمستخدم غالبا ما يتم فيها تحديد الغرض من المعجم، ومنهج ترتيبه، مع ذكر لقائمة الرموز والمختصرات المستعملة فيه. ولما كان معجم "الغني الزاهر" هو النموذج الذي حاولنا أن نفحص في هذا المقال مدى كفايته المعجمية والتزامه بالمبادئ الرئيسة للصناعة المعجمية، فلا بأس أن ننظر في قائمة الرموز والمختصرات التي اشتمل عليها لبيان وظيفتها وكيفية تأثيرها على الإخراج النهائي للمعجم.

١٤ - المقصود هنا هو النحو بمعناه العام الذي يضم جوانب الوصف اللغوي من نحو وصوت و صرف... كما هو رائج في المؤلفات اللغوية القديمة.

إن متأمل قائمة المختصرات والرموز المستعملة في معجم "الغني الزاهر" سيستشف بأنها لا تخرج عن الأشكال التي أشرنا إليها سابقاً؛ فالملاحظة الأولية تبين أنها تنصرف إلى الجوانب الثلاثة التي حددناها وهي: أولاً استخدام ألفاظ معينة بدلالات اصطلاحية خاصة يحددها المعجماتي في مقدمة المعجم وهذا النوع موجود في المعجم ولكنه نادر جداً. ثانياً، اختصار النوع الأول؛ والتعبير عن الكلمة الواصفة بحرف أو أكثر من حروفها وهذا النوع هو المهيمن في المعجم. ثالثاً، استخدام رموز معينة لوصف المادة المعجمية.

لقد بلغ عدد المختصرات في المعجم ستة وثمانين مختصراً : تسع وثلاثون منها لتحديد مجال الاستخدام، وثمان وعشرون لها وظيفة نحوية تبين أقسام الكلم ونوع الاسم وعدده...، فيما خصص أبو العزم تسعة عشر مختصراً لتحديد اللغة المقترض منها، في حين بلغ عدد الرموز خمسة. ونقترح تصنيف المختصرات والرموز المستعملة في معجم الغني الزاهر وفق الجدول التالي:

المختصرات والرموز المستعملة في معجم الغني الزاهر							
الرموز		المختصرات					
دلالاته	الرمز	النحو بمعناه العام		مجال الاستخدام		اللغة المقترض منها	
		الكلمة	المختصر	الكلمة	المختصر	الكلمة	المختصر
قرآن	()	أفعل التفضيل	أ.تف	أدب	أد	أرامي	أرا
جذر الكلمة	[]	تأتي أمام كل مدخل يحتمل التأنيث	ة	اقتصاد	اق	أرميني	أر
شاهد إضافي زيادة في الإيضاح/ ج مسكوكة أو متلازمة/ للتفسير	•	توليد/مولد	تو	بحرية	بح	إسباني	اس
مربع للشواهد الأدبية	□	فعل ثلاثي	ث	تاريخ	تا	إيطالي	إطا
		جمع المذكر السالم	ج-ون	تشريح	تش	ألماني	ألما
		جمع المؤنث السالم	ج-ات	جغرافيا	جغ	أمريكي	أم
		جمع الجمع	جج	جنس	جن	أنجليزي	انج
		فعل خماسي	خ	جيولوجيا	جيو	بابلي	با

		دخيل	د	حشرة	حش	برتغالي	بر
		فعل رباعي	ر	حيوان	حو	تركي	تر
		فعل سداسي	س	إحياء	حي	روسي	رو
		صيغة	ص	دين	دي	سرياني	سر
		صرف	صر	رياضيات	ري	عبري	عب
		فعل	ف	مصطلح رياضي	ريا	فارسي	فر
		اسم فاعل	فا	زراعة	زر	فرنسي	فرن
		فعل لازم	لا	مصطلح سياسي	سيا	لاتيني	لات
		مؤنث	مؤ	صفة	صف	هندي	هند
		فعل متعد	م	صوت	صو	ياباني	يا
		مثنى	مثنى	مصطلح طبي	طب	يوناني	يو
		مبني للمجهول	مج	طبخ	طخ		
		متعد بحرف	مح	طير	طي		
		محدثة	محد	عامية	عا		
		مذكر	مذ	عروض	عر		
		مصدر	مص	عسكر	عس		
		متعد بظرف	مظ	علم	عل		
		معرب	مع	عمارة	عم		
		مفرد	مف	فلك	فك		
		اسم مفعول	مفع	فن	فن		
				مصطلح فيزيائي	فز		
				قانون	ق		
				كهرباء	كه		
				مصطلح كيميائي	كيما		
				لغة	لغ		
				منطق	من		
				موسيقى	مو		

				نبات	نب		
				نحو	نح		
				علم النفس	نف		
				هندسة	هن		

يبدو من خلال الجدول، أن معجم "الغني الزاهر" يعتمد عددا كبيرا من المختصرات؛ حيث خصص المؤلف مختصرات لكل لغة اقترض منها لفظا معينا، وحدد رموزا متعددة لوصف المادة اللغوية، وتحديد الحقول المعرفية وجنس الكلمات...، وتعد هذه الرموز في المعجم غالبا ما يسبب غموضا للقارئ لكثرة المختصرات من جهة، وتقاربها من جهة ثانية. وهذا ما يدفع مستعمل المعجم في أحيان كثيرة للعودة إلى قائمة الرموز لمعرفة دلالتها خصوصا في المداخل الخاصة بالألفاظ المقترضة والمصطلحات العلمية، ومع ذلك فقد كانت لهذه الوسوم أدوار هامة في المعجم؛ فباستثناء الملاحظة السابقة المتعلقة بصعوبة التمييز بين هذه الوسوم في غياب قائمة المختصرات يمكن القول إنها قد ساهمت في تنظيم مواد المعجم،

ووصفها بدقة متناهية، وصرامة منهجية محكمة، ونسقية معجمية قل نظيرها في المعاجم الحديثة؛ إذ اهتم المؤلف كثيرا بترتيب المواد الداخلية للمداخل وتصنيفها باستعمال الأرقام والرموز وعلامات الترقيم وكان يوضح الشاهد الشعري والقرآني من المثال والحكم... وبهذا يكون قد التزم بأحد المبادئ الهامة في الصناعة المعجمية المتمثل في حسن اعتماد الوسوم في المعجم توخيا للدقة وتلافيا للعشوائية الناتجة عن عدم التزام ترتيب معين للمواد الداخلية للمدخل والتكرار الممل للمقولات المعجمية.

إن علاقة الوسوم بالتعريف علاقة ترابط وتكامل؛ فالتعريف الجيد لا يمكن أن يغفل استعمال الوسوم المتعددة أثناء شرح المداخل المعجمية، ومن ثم يمكن اعتباره عنصرا لا محيد عنه في أي تعريف معجمي؛ فهو وسيلة المعجماتي لوصف المادة اللغوية بدقة وإيجاز؛ حيث تعنيه الأرقام وعلامات الترقيم من تكرار مجموعة من الأمور أثناء القيام بالتعريف؛ فلا يمكنه أن يكرر مثلا في كل شاهد قرآني أو شعري ألفاظا تدل على طبيعة الشاهد المعتمد أهو شعر أم قرآن...، وإنما يكتفي بإرفاق الشاهد برمز من الرموز التي يتواضع عليها مع القارئ في المقدمة، ومستعمل المعجم يتبين طبيعة الشاهد انطلاقا من الرموز الواردة فيه فقط.

نتائج البحث:

لقد استثمر معجم "الغني الزاهر" مختلف أنواع التعريف الممكنة لشرح مداخل المعجم بطريقة واضحة وبسيطة وتميزت بالخصائص التالية:

- كونها تعاريف تمزج بين التعريف الاسمي والشعري.
- تعمل على بيان معنى المدخل عبر استخدامه في أمثلة، أو الاستشهاد عليه بنصوص لها حجية لغوية.
- تتجاوز شرح المدلول إلى تقديم معلومات حول الدال.
- تمزج بين أنواع متعددة من التعريف أثناء الشرح؛ كأن نجد في تعريف واحد أنه يوظف الشرح بالمرادف وتقديم الضد والتمثيل للكلمة لبيان مختلف استعمالاتها.

- خُلق قوالب لكل مجال معرفي ما يسهل على المتلقى عملية الاستيعاب من جهة، ويساهم في خلق النسقية المعجمية من جهة ثانية.
- اعتماد الوسم كآلية تنظيمية لمختلف مواد المدخل إما باعتماد المختصرات والرموز، أو علامات الترقيم المتنوعة.
- يلاحظ أن أكثر أنواع التعريف استعمالاً في المعجم هو التعريف بالمرادف والاشتقاق والمثال، في حين نجد حضوراً قليلاً للتعريف بالصورة والتضمن والتضاد.
- عدم إيراد تعاريف المعاجم القديمة الغامضة، بل تمت الاستفادة منها وتجويدها حتى أصبحت واضحة ودقيقة وتبتعد عن الغموض.

خلاصة:

حاصل القول، إن عبد الغني أبو العزم قد سخر كل خبرته المعجمية وثقافته اللغوية وحده المعجمي لشرح الألفاظ المدرجة في المعجم بطريقة واضحة من خلال استعمال لغة واصفة تبتعد عن لغة المعاجم التراثية التي كثيراً ما كانت تشرح بلغة غامضة يصعب معها التقاط المعنى ببسر، ويبدو أن المدونة اللغوية التي حددها المؤلف لمعجمه قد ساعدته كثيراً على تقديم تعريفات لها كفاية معجمية هامة لا تنكر، وحاول أن يتفادى مختلف العيوب التي لوحظت على المعاجم السابقة في مسألة التعريف، وهو بهذا يحاول استثمار مختلف النظريات اللسانية والمبادئ المعجمية الحديثة لتقديم عمل يجد مكانته ضمن الأعمال المعجمية المعاصرة الرائدة. كما اتضح أن الوسم وسيلة تقنية ناجعة لتنظيم مواد المدخل خاصة والمعجم برمته عامة إذا ما أحسن المعجماتي توظيفه أثناء إنجاز معجمه؛ فمن شأن هذا أن يجعل عمله أكثر تنظيماً ودقة من جهة، وأكثر إيجازاً من جهة ثانية. غير أنه يجب الحذر أثناء استعمال الوسم في المعجم كي لا يحدث ارتباك للقارئ لكثرة الرموز والمختصرات المستعملة أو عدم دقتها وتشابهها. وعليه، فالمعجماتي مطالب بتفادي كل ما يمكنه أن يحدث اللبس للقارئ، وهذا يقتضي أن يضع مختصرات واضحة وواصفة ودقيقة، وأن يتسم منهج استعمالها بالاطراد في المعجم برمته، وأن يتفادى المراوحة بين الشرح والوسم وأن يكتفي بأحدهما.

لائحة المصادر والمراجع:

- أحمد بريسول. (٢٠١٥). *من قضايا المعجم العربي*. الرباط: معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.
- جورج متري عبد المسيح. (١٩٩٧). *المعجم العربي بين الواقع والمرتجى*. مكتبة لبنان ناشرون.
- حافظ إسماعيلي علوي وآخرون. (٢٠٠٧). *اللسان العربي وإشكالية التلقي*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- سلام بزي حمزة. (٢٠١٣-٢٠١٤). *الوسم في المعجم المدرسي. اللسانيات*، ٤٩٧-٥٢٣.
- عبد العلي الودغيري. (١٩٨٩). *قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي*. الرباط: منشورات عكاظ.
- عبد الغني أبو العزم. (٢٠١٣). *معجم الغني الزاهر*. مؤسسة الغني للنشر.
- عبد القادر الفاسي الفهري. (٢٠٠٠). *اللسانيات واللغة العربية*. دار توبقال للنشر.
- علي القاسمي. (٢٠٠٣). *المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق*. مكتبة لبنان ناشرون.

جميع الحقوق محفوظة © 2020، الباحث يوسف أمير، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي.

(CC BY NC)